المحاضرة الرابعة: المنهج العلمي

1- تعريف المنهج العلمي:

قبل أن نتطرق إلى تعريف المنهج العلمي يجب أن نعطي تعريفات للمنهج بصفة عامة

فالمنهج لغة:جاء في لسان العرب لابن منظور **"نهج"** طريق نَهْج :بيّن واضح وهو النهج وهو النهج والجمع نهجات ونُهج ونهوج ، و**منهج الطريق** وضَحه ، والمنهاج كالمنهج ، وفي التنزيل **" لكل جعلنا منكم شِرعة ومنهاجا "** ،وانهج الطريق : وضُح واستبان وصار نهجا واضحا بيّنا ، والمنهاج : الطريق الواضح.

ومن خلال التعريف اللغوي نستنتج ان المنهاج هو الطريق وكأن الباحث وخلال فترة بحثه ودراسة ظاهرته يسلك طريقا هذا الطريق هو جملة القواعد التي يستعملها الباحث لدراسة ظاهرته وتفسيرها بغية الوصول إلى الأسباب والعوامل المؤدية لها .

أما اصطلاحا هو "الأسلوب أو الطريقة أو الوسيلة التي يستعملها الباحث بهدف الوصول إلى المعلومات التي يريد الحصول عليها بطرق علمية وموضوعية مناسبة ".

ومن هنا **فالمنهج العلمي** هو**أسلوب التفكير النقدي، هو عقلانية نقدية بقدر ما هو العقلانية التجريبية، وتبقى ملاحظة أنه في الآن نفسه أسلوب التفكير المبدع، ولما كان هذا الإبداع مسؤولا أمام محكاة المنطق وقياسات الواقع، أمكن أن نسميه أيضا العقلانية الإبداعية.**
كما أنه الطريقة العلمية هي طرقة النظر الى الاشياء، و طريقة لحل المشاكل، و هي طريقة الملاحظة الحسية و السلوك التجريبي و التاثير العقلاني.
فالبحث العلمي يعمل على مستويين: المستوى النظري و المستوى التجريبي، يهتم المستوى النظري بتطوير مفاهيم مجردة حول ظاهرة طبيعية او اجتماعية و العلاقات بين تلك المفاهيم بينما يهتم المستوى التجريبي باختبار المفاهيم و العلاقات النظرية لمعرفة مدى انعكاسها بشكل جيد، و يتضمن البحث العلمي التحرك باستمرار ذهابا و إيابا بين النظرية و الملاحظات .
و تشير الطريقة العلمية إلى مجموعة موحدة من التقنيات لبناء المعرفة العلمية، مثل كيفية عمل ملاحظات صحيحة، و كيفية تفسير النتائج و كيفية تعميمها، بحيث تسمح الطريقة العلمية للباحثين باختبار النظريات الموجودة مسبقا و النتائج السابقة بشكل مستقل و حيادي.

كما أن مناهج البحث تشترك على اختلاف أنواعها بمجموعة من الخصائص والمميزات يمكن إجمالها بالآتي:

- التنظيم في طريقة التفكير والعمل، القائمة على الملاحظة والحقائق العلمية.
- التسلسلية والترابط في تنفيذ خطوات البحث المتتالية.
- الموضوعية والبعد عن الخصوصية والتحيز والذاتية والميول الشخصية.
- إمكانية اختيار نتائج البحث في أي مكان وزمان، باستخدام المناهج العلمية ولكن ضمن ظروف وشروط مماثلة، لحدوث نتائج الظاهرة المدروسة.
- معالجة الظواهر أو الأحداث التي تمخضت عن ظواهر أو أحداث مماثلة.
- القدرة على التنبؤ أي وضع تصور لما ستكون عليه الظواهر أو الأحداث قيد الدراسة في المستقبل.

2- العمليات الأساسية في المنهج العلمي :

2-1- الاستقراء:

يرى "ابن خلدون" أنه بعد الانتهاء من جمع المادة حول الظاهرة من خلال الملاحظة المباشرة والدراسة لمختلف الفترات التاريخية والمقارنة يمكن استخدام الاستقراء والتعليل والتحليل، للوصول إلى القوانين العامة، التي تحكم الظواهر الاجتماعية من خلال ارتباط الظواهر ببعضها البعض، فالتعميم الحذر أو الاستقراء الموسع يعرف بالاستقراء العلمي، وهو مختلف عن الاستقراء العام الذي يبدأ بتفحص الأحوال الجزئية، ثم ينتهي منها إلى قوانين وأحكام ونظريات عامة ،و بعد اختبار عدد محدود من الحالات اختبارا علميا منظما، يمكن الانتقال من الحكم على الحقائق المشاهدة أي على بعض أفراد الشيء إلى الحكم على الحقائق غير المشاهدة، أي على جميع أفراد الشيء ويسمى هذا الاستقراء الناقص أو غير التام استقراء موسعا، لأن الفكر لا يتقيد فيه بالحدود المقررة، بل يوسع نطاق التجربة والملاحظة وينتقل من المحدود إلى غير المحدود. لهذا فنتائج الاستقراء الموسع أو الناقص ليست يقينية دائما.

2-2- التصور:

المفهوم الفلسفي للتصور هو إدراك العقل موضوعه في ماهيته دون إثبات أو نفي، أي العملية التي يدرك بها العقل الماهية دون أن يثبت لها شيئا أو ينفيه عنها، إنه يقتضي مجرد وعي موضوع باعتبار معقدا.

2-3- **الفهم:**

يتعلق هذا بفهم الباحث الجيد و العميق لأبعاد الظاهرة و العوامل المؤثرة في حدوثها و فهم تكوينها الداخلي و علاقاتها و تأثرها و تأثيرها في الظواهر الأخرى.

2-4- **التحليل:**

عملية تتبع و تقصي دقيق للمتغيرات المستقلة و التابعة و المتداخلة في الموضوع مع اكتشاف العلائق و مؤثراتها السالبة و الموجبة على الحالة قيد البحث والدراسة، فهو يرتبط بالمعلومة المؤثرة على الفعل و السلوك و على القاعدة و الاستثناء ، فبالتحليل تتحدد الأفعال و الأقوال و السلوكيات و تكراراتها و علائقها السالبة و الموجبة حتى يتم بلوغ النتائج المبدئية و عرضها في جداول و أشكال بيانية لإظهار الحقائق التي تستدعي التعميم و التي في حاجة للتقييم و التقويم.

2-5- التركيب:

هو جمع أجزاء الشيء أو ربط صفاته وخواصها بعضها ببعض للوصول إلى قوانين عامة، والتركيب هو الشق المكمل للتحليل أو هو العملية المقابلة له ويستخدم في حالتين، فالأولى البرهنة على مشروعية التحليل، أما الحالة الثانية فالتركيب عملية للعرض للعرض والتعميم في نفس الوقت.

2-6- التجريب:

يعتبر التجريب موقفا مصطنعا يهيئ لإثبات حقائق أو بطلانها أو نفيها من خلال البحث و التقصي الدقيق ملاحظةً و مشاهدةً و معايشةً ، و في العلوم الاجتماعية و الإنسانية تكون الحقائق كامنة و تظهر في التصرفات و السلوك و الأفعال و الأعمال التي تخضع للمشاهدة و الملاحظة، فالهدف من التجريب في العلوم الاجتماعية التعرف على الظواهر و عللها و أسبابها و مكامنها و تأثيراتها السلبية و الإيجابية مع إيجاد مقاييس لتقنينها و التحكم في عناصرها.

2-7- الاستنباط:

ويطلق على عملية الاستنتاج من الحقائق العامة أو الحقائق المعلومة التي نحصل عليها بالتلقي مثل التعاليم الدينية، أو من الحقائق العامة التي يتم التوصل إليها باستقراء الحقائق الجزئية أو تم الاتفاق عليها مثل الأنظمة و القواعد الوضعية.

2-8- التصنيف:

التصنيف يساعد على عرض و تبيان المعلومات المتماثلة، و المعلومات غير المتماثلة عن طريق توحيد المتماثل و تفريق غير المتماثل و تصنيفه حسب الخصائص و الصفات التي يتميز بها كل متغير أو عنصر من العناصر المبحوثة او المدروسة.

2-9- التفسير:

النشاط العقلي للإنسان لا يكون علما بالمعنى الصحيح إلا إذا استهدف كشف العلاقات التي تقوم بين الظواهر و تعليلها، و هذا لا يكون إلا بالكشف عن الأسباب و تفسيرها و إدراك الارتباطات الموجودة بين الظواهر المراد تفسيرها و بين الأحداث المصاحبة أو السابقة لها.

2- 10- التجريد:

هو صفة ملازمة للعمل و نقصد به تحويل خصائص الظواهر و الأشياء إلى أفكار و مفاهيم ذهنية تدرك بالعقل لا بالحواس، مثلا يبدأ الطفل في تعلم الرياضيات بكرات صغيرة ، فيقال له أن ثلاث كرات + كرتين= خمس كرات ، و توضع بين يديه هذه الكرات لتسهيل عملية الفهم فتترسخ في ذهنه أن 3+2=5 ،و مع الزمن يتم تجريد هذه المعادلة من الأشياء الملموسة التي لصقت بها و تبقى المعلومة صحيحة و مجردة و قابلة للتطبيق في جميع الحالات المشابهة.

2-11- الحكم:

يعرف الحكم أو ما يعرف بالتأويل وهو استنطاق المعارف مجمعة

2-12- التعليم:

فهو يشير إلى كل عمل أو بحث يساعد الباحث في تطوير قدراته العلمية والحصول على الخبرة من خلال الممارسة.